دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	القبالة في الحضارة اليونانية الكلاسيكية "دراسة مصدرية"
المصدر:	المؤتمر الدولي الثالث بعنوان التأثير والتأثر بين الحضارات القديمة
الناشر:	جامعة عين شمس - مركز الدراسات البردية والنقوش
المؤلف الرئيسي:	حافظ، أحمد غانم
المجلد/العدد:	مج2, ع2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2012
الصفحات:	1 - 10
رقم MD:	507145
نوع المحتوى:	بحوث المؤتمرات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الحضارة اليونانية، المرأة اليونانية، التمريض، عمل المرأة، العادات والتقاليد
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/507145

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

القبالة في الحضارة اليونانية الكلاسيكية
دراسة مصدرية(*)

مقدمة:

شغلت دراسة "وضع المرأة" في الحضارات القديمة أذهان كثير من الباحثين قديما وحديثا، ويأتي هذا البحث ليتناول بالدراسة واحدة من بين المهن التي اختصت بها المرأة قديما- في كثير من الأحيان – وهى مهنة القابلة. ولما كانت الدراسة العربية التي ظهرت في الفترة ما بين عام 200 وحتى عام 2003 قد ركز بعضها على دراسة مهن المرأة ومن بينها القبالة في مصر في العصريين البطلمي والروماني واتجه البعض الأخر نحو دراسة أوضاع الرضاعة والولادة في مصر وفى نفس الفترة.[1]

ومن ثم يأتي هذا البحث محاولا إلقاء بعض الضوء على وضع المرأة كقابله في الحضارة اليونانية حتى العصر الكلاسيكي، وهى فترة توهج الحضارة اليونانية بوجه عام، وذلك للتعرف على الملامح العامة لهذه المهنة من خلال المصادر الكلاسيكية سواء تلك التي تنتمي إلى الفترة الكلاسيكية أو المصادر التي تنتمي للفترة التالية لها على اعتبار أنها تشكل امتداد وتطورا طبيعيا للفترة الكلاسيكية في هذا الصدد، لاسيما وان مصادر العصر الكلاسيكي التي تعرضت لهذا الموضوع قليلة، الأمر الذي كان مشجعا على اللجوء للمصادر المتأخرة (الهلينستية) خاصة وأنها قد تضمنت كثير من الإشارات التي يفهم من بعضها حقيقة وضع القابلات في بلاد اليونان في العصر الكلاسيكي.

أولا: القبالة ووضع القابلات في الحضارة اليونانية القديمة

(أ) لمحه عن تاريخ المهنة حتى العصر الكلاسيكي

تعد "القبالة" من بين أقدم الحرف التي امتهنتها النساء في بلاد اليونان،[2] إذ حفظت لنا وثيقة رسمية يعود تاريخها للقرن الخامس قبل الميلاد تقريبا أول برنامج تدريبي وضعه هيبوكراتيس 460-370 ق.م أبو الطب للقابلات، وبالمثل فقد اتضح منها أن

(*)أحمد غانم حافظ، أستاذ مساعد التاريخ اليوناني والروماني – كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.

[1] من بين الدراسات العربية الحديثة التي اهتمت بدراسة وضع المرأة العاملة في مصر خلال العصريين البطلمي والروماني، راجع: أميمه على أحمد زهرة، المرأة العاملة في مصر تحت حكم البطالمة والرومان "دراسة تاريخية – أثرية"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2003، مجلد أول، ص ص.359-399 . حيث أفردت فصلاً كاملاً لمهنة القابلة بوصفها إحدى المهن التي مارستها المرأة في مصر في العصريين البطلمي والروماني، وخلال السياق تعرضت سريعا للقابلة في بلاد اليونان. وراجع أيضا: محمد عبد الفتاح السيد سليمان " الآلهتان (إيزيس وبيوبو) وأوضاع الولادة والرضاعة في مصر خلال العصريين اليوناني والروماني"، مجلة جامعة عين شمس، مركز الدراسات البردية والنقوش، العدد السابع عشر، 2000، 145-173. حيث وردت أشار بسرعة "للقابلات" في خضم حديثه عن عادات وتقاليد الولادة والرضاعة.

[2] عملت المرأة في معظم المجتمعات القديمة في مجالات متنوعة كمجال الخدمات الصناعية حيث كان النساء يقمن بإعداد الطعام والشراب كالجعة لتعرض بالأسواق، كما كن يعملن طهاة في بيوت العائلات، وكذلك عملن كقابلات ومرضعات لأبناء الغير وحانوتية وخادمات ونداباتوفى مجال التسلية عملن كراقصات وعازفات وقامت الدعارة عليهن بالأساس، وقد ظهر النساء الطبيبات والقابلات في العديد من التسجيلات. راجع:

S. S. Hughes and B. Hughes " women in Ancient Civilizations" ،in M. Adas (ed.)، Agricultural and pastoral societies in ancient and classical history، For the American Historical Association، Philadelphia، 2001. 122.

القبالة في الحضارة اليونانية الكلاسيكية

القابلات تم تصنيفهن إلي نوعين الأول: يضم القابلات العاديات اللائي يقمن بعمليات التوليد العادية، أما النوع الثاني فقد ضم القابلات المخصصات للحالات الحرجة واللائي عرفن باسم "أطباء التوليد".[3] ويبدو أن تلك الوثيقة لم يرد بها لفظة μαια على الإطلاق وهى تعنى "قابلة" وفى المقابل وردت ثلاثة مترادفات لهذه اللفظة بمعان مختلفة وهى كالتالي: η ομφαλητομοζ وتعنى قاطعة الحبل السري وكلمة η ακεστριζ تعنى معالجة المرأة أما الثالثة فهي η ιητρενονσα التي تعنى المرأة المعالجة طبيا. ورغم صعوبة التعرف على بنود وخطوات هذا البرنامج التدريبي، إلا أنه من خلال ما بقى لنا من كتابات هيبوكراتيس[4] نفسه، نعرف أن هناك من بين النساء اليونانيات من عملن بمجال الطب رغم كون ذلك محظورا بوجه عام بموجب القانون. إن التقدم الكبير الذي أحرزته فنون الطب اليوناني بشكل عام فاق بكثير التقدم الذي تحقق في مجال التوليد، وهو ما عكستها لمصادر الكلاسيكية التي خلت بدورها في المقابل من ذكر أسماء لقابلات[5] اللهم إلا "فاينارتى phaenarete*" التي لم تكن مهنتها سبباً في شهرتها بقدر ما اشتهرت لكونها والدة سقراط.[6] وعلى أية حال فيبدو أن ذلك البرنامج التدريبي الذي وضعه هيبوكراتيس لتدريب النساء على عمليات التوليد قد توقف بعده قرونا بفضل القيود القانونية التي حالت دون انخراط كثيرات آنذاك رسمياً وأكاديميا في هذه المهنة. وبالرغم من أن النساء قد منعن بموجب القانون من ممارسة الطب، إلا أن ذلك لم يكن يشكل رادعا كافيا لبعض الأثينيات على وجه الخصوص، وهذا ما نعرفه من "هيجنيس Hyginus" الذي يؤكد فيما تبقى من إعماله القليلة على أن اليونانيات وتحديدا في "أثينا" في العصر الكلاسيكي قد منعن بموجب القوانين اليونانية من دراسة الطب، ورغم ذلك المنع إلا أنه يسوق لنا قصة أول قابلة في بلاد اليونان ألا وهى "أجنوديكى Agnodike"،[7] التي شكلت

---

[3] η ομφαλητομοζ وتعنى"قاطعة الحبل السري " وجاءت في Mul.1.146(8.106)،5-8L وكلمة η ακεστριζ وتعنى معالجة المرأة وجاءت في Corn.19(202.22-203.1) ، أما η ιητρενονσα وتعنى المرأة المعالجة، وجاءت في Mul.1.68(8.144) ،22-24L قارن:

L.M.V. Totelin، Hippocratic recipes: oral and written transmission of Pharmacological Knowledge in fifth- and fourth- century، Brill NV، Leiden. 2008، 118.

[4] Hippocrates، De Morbismulierum،1. 662.

[5] رأى البعض انه أمر طبيعياً ألا يرد ذكر أسماء القابلات في المصادر الأدبية – إلا للضرورة – ويستند هذا الرأي إلى قلة عدد النسوة اللائى كن يمارسن القبالة كمهنة وبالتالي فطبيعي ألا يرد ذكر كثير منهن إلا في مناسبة خاصة أو إذا ارتبط الحديث عنهم بشخصية هامة تكون قد ذاعت شهرتها بين الناس علي مستوى إقليمي أو محلى. رأى أفاد به إبراهيم الجندي – أستاذ التاريخ اليوناني والروماني – بآداب عين شمس في مناقشة مع الباحث وهو بصدد إعداد هذا البحث لصورته النهائية للنشر.

[6] رأى أفاد به محمد السيد عبد الغنى – أستاذ التاريخ اليوناني والروماني – بكلية الآداب جامعة الإسكندرية في مناقشة مع الباحث وهو بصدد أعداد هذا البحث في صورته النهائية للنشر. وعن والدة سقراط ومهنتها كقابلة، وعن غيرها من المهن التي زاولتها المرأة اليونانية نتيجة الظروف الاجتماعية رغبة في كسب لقمة العيش. راجع:

J.Lim، Socrates: The Public Conscience of Golden Age in Athens، New York، 2003، 15.

[7] University of Toronto Press، 2007، 19;Diog. Laert، 3.46;Themistius، Oration 23 (sophists) 295.

هييجينيس مؤرخ روماني وأمين مكتبة للإمبراطور أغسطس (63B.C.E- 14 C.E.) ووفقا روايته فقد ولدت اجنوديكى لأم أثينية وكانت هي أول من فتحت الباب أمام الأثينيات من النساء لدراسة وممارسة الطب في مجتمع دولة المدينة في أثينا، وقد منعت من ممارسة توليد الأثينيات لتحايلها على القانون. راجع:

E.Kuhluman ، A to Z of Women: women in the World History، Facts on File ، New York.، 2002،p. 296;

J. Lempriere، A classical Dictionary containing a Copious Account of All the proper Names Mentioned in

خرقا لقاعدة المنع في الفترة التالية على العصر الكلاسيكي، وذلك بدخولها متنكرة إلى عالم ممارسة الطب الإغريقي، فوفقا لروايتة تخلت اجنوديكي عن مظهرها الأنثوي بحلاقة شعرها وبدت وكأنها ذكر بهدف دراسة الطب، متجاهلة تلك القاعدة القانونية، وبالفعل أصبحت تلميذة لهيروفيلوس بفضل شكلها الذكورى، [8] ثم عادت إلى أثينا (موطنها الآصلى) بعد أن أنهت دراستها لتبلغ هناك مبلغا كبيرا من الشهرة[9] وبدأت تزاول المهنة كرجل، إلى أن سمعت شكوى أحدى نساء بمرض نسائي فهبت لنجدتها إلا أن المريضة أبت أن تنال أية مساعدة طبية على يد رجل، فما كان منها إلا أن كشفت عن ردائها لتثبت أنوثتها، ترتب على ذلك أن اتهمها المرضى بخداعهم مما أدى إلى محاكمتها.[10]

وإذا فهم من رواية هيجينس أن أثينيات العصر الكلاسيكي قد منعن قانونا من دراسة الطب حتى عصر هيروفيلوس بالإسكندرية، فيبدوا وحسبما يفهم من أفلاطون (348-328ق.م) أنهم قد مارسن القبالة على الصعيد الاجتماعي بعيدا عن القوانين التي تمنع دراستهم وممارستهم لفنون الطب، إذ جاءت هذه الممارسة في إطار من العرف الاجتماعي الذي وضع شروطا واضحة يجب توافرها فيمن تعتزم ممارسة القبالة. كما كانت الأثينيات يستعن بأقاربهن اللواتي كن على درجة عالية من الخبرة والكفاءة بما يسمح لهن بتوفير ولادة ناجحة فيما عدا الحالات الحرجة، حيث يذكر أفلاطون أن "مهنة الفبالة اقتصرت ممارستها على النساء اللاتي انقطعت منهن فقط عن الحمل والإنجاب، الأمر الذي يترتب عيه بالضرورة حرمان النساء العاقرات من مزاولة مهنة القابلة وارتميس برغم من إنها لم تنجب، إلا أنها قصرت العمل بهذه المهنة على من سبق لهن الإنجاب بالفعل في الماضي، وربما كان الهدف من ذلك القصر هو الرغبة في التأكد بشكل عملي من أنهن قد اجتزن سلفاً

Ancient Authors with the Value of Coin، Weight، and Measures Used among the Greeks and Romans ، London ،1820،s.v Agnodice.

[8] H.king and 'Agnodike and the Profession of Medicine' ،Proceedings of the Cambridge Philological Society 32 ،1986،53-77.

يعتبر ايراسيمستراتوس وهيروفيلوس من أشهر مؤسسي مدرسة الطب بالإسكندرية .305-280BC وقد ولد هيروفيلوس في خالقيدونيه (مدينة يونانية تقع على بروبونتوس في مواجهة مدينة بيزنطة) وقد كان أول من اتجه نحو تأسيس مدرسة التشريح في الطب. عن المزيد بشأن هيروفيلوس. انظر:

A.H. Buck، the Growth of Medicine from earliest times to about 1800، Yale university press، 1917، pp.104-106.

[9] عن اختلاف موقف هيبوقراط من القابلات عن موقف كل من جالينوس وسورانوس منهن راجع:

H. King ،'Medical Texts as a Source for Women's History' ،in A. Powell (ed.) ،The Greek World ،London ، 1995 ،209.

[10] H.Marland (ed.) The Art of Midwifery Early Modern Midwives in Europe. The welcome Series in the History of Medicine ،London ،1994،122.

وعن أحداث محاكمة اجنوديكى التي انتهت بتدخل زوجات القادة من الرجال متهمين الأطباء أمام المحكمة بأنهم ليسوا أزواجاً بل أعداء لأنهم يتهمون امرأة أسهمت في شفائهن فما كان من الأثينيين إلا أن عدلوا القانون ليصبح مصرحاً للنساء بتعلم فنون الطب.

Chiabo ،M. & Robert ،L. HyginiFabularum ،12. cf. Mohamed RedKotbAllam. "The Roman Physicians in the light of some Private Funerary Inscriptions" ،BACPSI ،XXIV. Cairo ،2007. p. 109.

تجربة الحمل والإنجاب وبالتالي فيصبحن الأقدر بطبيعة الحال على فهم شعور الحوامل ممن على وشك الإنجاب"،[11] أن الحديث عن امتهان النسوة اللاتي تخطين فقط سن الحمل والإنجاب مهنة القبالة، يعطى القارئ لمحة عن دور كبار السن من النساء الأثينيات وأهميتهن بشكل عام في المجتمع اليوناني القديم، وهو ما أكدته دراسة انتهت إلى أنه بفضل عامل كبر سن النساء توافرت لهن فرصة الخروج لسوق العمل والاختلاط دون الخوف عليهن، بخلاف الفتيات الصغيرات – اللاتي لم يسبقن لهن الزواج أو الإنجاب– إذ كان الخوف يدفع بالمجتمع اليوناني "الذكورى الطابع" لفرض حمايته عليهن، الأمر الذي يؤكد أن ذلك المجتمع "الذكورى" تعدت نظرته لأهمية للمرأة مجرد نظرة الاستغلال الجسدي لا سيما و إن كانت في سن تسمح بذلك، وهو ما يوضح أن المرأة اليونانية–بغض النظر عن سنها– شكلت ركنا أساسيا وأهمية كبيرة في المجتمع اليوناني القديم.[12]

---

[11] Plato, theaetetus,149 B-C

حيث تحدث أفلاطون عن النساء ذوات الخبرة وأفضل القابلات قائلا :

ἐννόησον δὴ τὸ περὶ τὰς μαίας ἅπαν ὡς ἔχει, καὶ ῥᾷον μαθήσῃ ὃ βούλομαι. οἶσθα γάρ που ὡς οὐδεμία αὐτῶν ἔτι αὐτὴ κυϊσκομένη τε καὶ τίκτουσα ἄλλας μαιεύεται, ἀλλ' αἱ ἤδη ἀδύνατοι τίκτειν.

Θεαίτητος

πάνυ μὲν οὖν.

Σωκράτης

αἰτίαν δέ γε τούτου φασὶν εἶναι τὴν Ἄρτεμιν, ὅτι ἄλοχος οὖσα τὴν λοχείαν εἴληχε. στερίφ οὐκ ἔδωκε μαιεύεσθαι, ὅτι ἡ ἀνθρωπίνη φύσις ἀσθενεστέρα ἢ λαβεῖν τέχνην ὧν ἂν ᾖ ἄπειρος: ταῖς δὲ δι' ἡλικίαν ἀτόκοις προσέταξε τιμῶσα τὴν αὑτῆς ὁμοιότητα.

Θεαίτητος

εἰκός.

Σωκράτης

οὐκοῦν καὶ τόδε εἰκός τε καὶ ἀναγκαῖον, τὰς κυούσας καὶ μὴ γιγνώσκεσθαι μᾶλλον ὑπὸ τῶν μαιῶν ἢ τῶν ἄλλων;

Θεαίτητος

πάνυ γε.

Σωκράτης

καὶ μὴν καὶ διδοῦσαί γε αἱ μαῖαι φαρμάκια καὶ ἐπᾴδουσαι δύνανται ἐγείρειν τε τὰς ὠδῖνας καὶ μαλθακωτέρας ἂν βούλωνται ποιεῖν, καὶ τίκτειν τε δὴ τὰς δυστοκούσας, καὶ ἐὰν †νέον ὂν† δόξῃ ἀμβλίσκειν, ἀμβλίσκουσιν;

وعن نصيحة بشأن أصلح القابلات في فترة لاحقة. راجع: Soranus،Gynecology ،1.3-4. سورانوس إغريقي من إقسوس ولد بنهاية القرن الأول الميلادي جاء إلى روما في حوالي عام 98م حيث يذكر كيف يجب أن تكون القابلة متعلمة حتى تدرك نظريات العمل الطبي ويؤكد بالمثل على حرمان المرأة من دراسة الطب وعلم وظائف الأعضاء والتشريح على وجه الخصوص وقد أصبح مؤلفة De morbismulierum المصدر الأساسي لمعرفة أسس مهنة القبالة لما يقرب من ألف وخمسمائة عام بعد وفاته. وعن وظيفة القابلة بوجه عام. راجع:

B. Cohen (ed)، Not the Classical Ideal – Athensand the Construction of the Other in Greek Art، Leiden، 2000، 161.

[12] حاولت هذه الدراسة الرد على بعض الاتجاهات التي قطعت بأن المجتمع اليوناني الذكورى قد نظر إلى المرأة نظرة تصنيفية حسب السن إذ اعتقد أصحاب تلك الاتجاهات أن المرأة كلما كانت في سن صغيرة كلما عظمت أهميتها في المجتمع اليوناني على أساس أنها لازالت قادرة على العمل كما أنها تظل مرغوبة جنسيا بما يمكنها من الحمل والإنجاب. في حين لم يلعب كبار السن دورا على أرض الواقع فليسوا قادرين على الإنتاج لا في مجال العمل ولا حتى في مجال الحمل والإنجاب بحكم السن. وقد استشهدت تلك الدراسة بالربة ديمتر ذاتها التي صورت في الإنشودة الهوميريه لديمتر على أنها امرأة عجوز. عن ألاتجاهات التصنيفية راجع:

J.Bremmer، "The Old Women of Ancient Greece. " In Blok and Mason، 1987: 191-215. Italianversion in G. Arrigoni، (ed.) Le donne in Grecia Laterza، Rome and Bari، 1985. 275-98.

وفى هذا السياق يؤكد ماثيودياللون على أن القابلات اليونانيات عموما كن يجدن أكثر من مهارة مثل مهارة تحضير العقاقير والسوائل المسحورة، كما أجدن بالمثل مهارة توظيف تلك العقاقير والسوائل المسحورة في مساعدة مرضاهم على تجاوز الألم سواء في فترة المخاض أو في أثناء عملية التوليد ذاتها وإضافة إلى المهارات السابقة فقد كن على دراية بكيفية أجراء عمليات الإجهاض حينما تقتضى الضرورة ذلك.[13]

وعن الدراسة نفسها راجع:

American Philological ، ' The Old Women of Ancient Greece and the Homeric Hymn to Demeter'،L. Pratt pp. 41-65. ، 200،Association (APHA) 130

[13] M. Dillon، Girls and oWmen in Classical Greek Religion، 2nd ed.، New York، 2003179.

وعن السوائل المسحورة واستخداماتها في الحضارات القديمة بوجه عام والحضارة اليونانية بوجه خاص راجع:

pp. 22- 35، 2011،USA، Gnostic visions: uncovering the greatest secret of the ancient world،A.L. Myers

ومن الطريف أن نجد نوعاً من المقابلة "الرمزية" لدى أفلاطون بين أهمية دور القابلة ودور المفكر "المحاور" وهى مقابلة ربما أراد أن يؤكد بها على أهمية الدور الفكري الذي لعبه أستاذه سقراط نفسه، إذ صور سقراط في محاورة "ثيايتيتوس" على أنه قابلة لثيايتيتوس نفسه في إشارة فلسفية ضمنية منه إلي أنه يولد الأفكار من عقول البشر عن طريق منهجه المعروف التهكم والتوليد. راجع:

Peasants and Food in Classical Antiquity: Essays in Social an ، Cities،P. Gransey and W. Scheidel 259،2004،Cambridge University Press،EconomicHistory

وعن إعادة تقديم أفلاطون لسقراط في محاورته ثيايتيتوس وكيف أنه أصبغ عليه صبغة نسائية بتشبيه طبيعة دورة بدور القابلة، وعن المقابلة بين أهمية الحمل في الأفكار والحمل في الأطفال. راجع:

R.Blondell، The play of Character in Plato's Dialogues، Cambridge University Press، 2002، 251-313; T.L. Dynneson، City- State Civism in Ancient Athens: It is Real and Ideal Expressions، New York، 2008،148; K. Reilly، The west and the world: A History of Civilization from Ancient World to 1700،New Jersey،1997،115; J. A. Colaiaco، Socrates Athens: Philosophy on Trial، New York، 2001،67.

ظهرن القابلات في الدراما الكلاسيكية وكن دوما "نساء" ومن بينهن تلك القابلة التي أشير إليها سريعاً والمسماة "لسبيا" راجع:

Plautus، Captives 629;"…{Tynd.} Qui tuscis? An tufoftassefuistimeaematriobstetrix،" ;Casket Comedy 141;..."sine obstetrics opera et sine doloribus،..."; Terence، Andria 229، 459-89; Brothers 292، 354،618، 620. see also، J.E. Thorburn، The Facts on File on File Companion to Classical Drama، Facts on File literature، New York، 2005، 349.

(ب) وضع القابلات في الحضارة اليونانية

عرف المجتمع الأثيني التمييزيين القابلة والممرضة، فكانت القابلة تختار من بين تلك النسوة اللاتي اجتزن سن الإنجاب،[14] وهو ما يوضح خصوصية مهنة القبالة في المجتمع الأثيني وتتأكد تلك الخصوصية من خلال لوح نقشت عليه مرثية تعود إلى القرن الرابع ق.م وتحمل اسم "فانوستراتى Phanostrate" التي عملت كقابلة وطبيبة في ذات الوقت.[15] ورغم تقدم علوم الطب على المستوى العلمي، إلا انه وبفضل ازدهار مهنة القبالة في بلاد اليونان على المستوى الإجتماعى، كانت لا تتم الاستعانة بأطباء في حالة فشل عمل القابلات، وهو ما يدل على مدى تمكن القابلات من عملهن.[16] وقد يكون مناسباً في هذا الصدد أن نشير إلى أنه إذا كان الرومان قد تأثروا بمنجزات الإغريق الطبية آخذين عنهم كثيرا من فنون الطب،[17] فإنهم قد فعلوا ذلك بالمثل فيما يتعلق بالقبالة.[18] لقد اختلف وضع القابلات في المجتمع اليوناني في العصر

---

14 J.R. Laurin،Women of Ancient Athens ،British Columbia ،2005 ،278.

15 عثر على لوح تذكاري في أثينا يعود تاريخه للقرن الرابع ق.م وقد نقش عليه العبارة التالية 'فانوستراتى، قابلة، وطبيبة، ترقد هنا، لم تؤذ أحدا الجميع حزن لوفاتها ' وقد صورت فانوسترتى على اللوح وتكرمها إحدى النسوة من بين أحد معارف مرضاها وهى محاطة بالأطفال ذكور وإناث. عن النقش واللوح الأصلي. راجع:

p. 266-267. ، 379، 1992، women Life in Greece and Rome،B.F.Maureen & M. R. Lefkowitz

16 W .Radcliffe، Milestones in Midwifery; and the secret instrument: the birth of the midwifery Forceps، California، 1989، 1-2 .

17 كان العمل في هذه المهنة معتاداً بين النساء طبقة الدنيا في المجتمع الروماني، إذ كان سهلاً على المرأة الرومانية أن تعمل بمجال الطب دون سابق تدريب علمي، على أساس أنه لم يكن من متطلبات ممارسة الطب أن تنال المرأة ولو قسطا من التدريب. أنظر:

S. Treggiari، " Lower class women in the Roman economy" ،Florilegium 1، 1979، pp. 70-3، 86; R. Jackson، Doctors and Disease in the Roman Empire، p.85.no.21.cf. Mohamed Reda Kotb Allam، op. cit. p. 110; R.H. Feen، 'The Moral Basis of Graeco-Roman medical practice' ، Journal of Religion and Health، vol.22،No.1.1983.pp. 39-48.

عن تخلص علوم الطب من السحر، وكيف منح ذلك الطب اليوناني الأثيني في القرنين الخامس والرابع ق.م الفرصة للتطوير والازدهار، وعن القوانين المجرمة للسحر. راجع:

D. Collins، 'Theoris of Lemnos and the criminalization of magic in the fourth-century Athens'،CQ.vol.51،No.2.2001،pp.477-493.

18 S. B. Pomeroy، Goddesses، Whores، Wives، and slave: Women in Classical Antiquity، 2nd ed.، New York، 1995،267.

بالمثل فقد حدثنا بليونيوس الأكبر عن إحدى القابلات وتدعى " أوليمبياس من طيبة" التي قامت بتأليف كتاب عن حرفتها، اقتبس منه بلينيوس نفسه بضع معلومات أوردها كتابه " التاريخ الطبيعي"

Plinius، HistoraiNaturalis 28، 245; E.C. Keuls، The Reign of the Phallus: Sexual Politics in Ancient Athens، University of California Press، 1993، 142.

وللاضطلاع علي الوصف الدقيق لطبيعة عمل القابلة وكيف كانت تقوم بتهيئة الأم في لحظات ما قبل الوضع، وعن كيفية معاملة الوليد في المجتمع الأثيني وقبوله كفرد من العائلة بعد أداء طقس Amphidromia وهو الطقس الذي كانت تجرى فيه الأم حول وليدها بشكل دائري ثم بعد مرور عشرة أيام يحصل على اسما له. راجع:

S. I. Johnston، Religions of the ancient world: A Guide ، Harvard University Press، 2004،445.

لقد قام بلينيوس الأكبر بالإشارة إلى كتابات القابلات في كتابة التاريخ الطبيعي كما أشار إلى بعض أسمائهن مثل سالباً Salpe وسوتيرا Sotira. راجع: Plinius، Hist. Nat،26.67 ،70، 255

القبالة في الحضارة اليونانية الكلاسيكية

الكلاسيكي باختلاف المكان الذي مارسوا فيه حرفتهم، فبينما مورست القبالة في المجتمع الأثيني في ظل منظومة قانونية وفكرية صارمة اضطر معها بعض الأثينيات للتحايل عليها، لم يرد لدى كسينوفون ما يشير إلى أن المجتمع الاسبراطي قد فرض قيودا على تلك المهنة كنظيره الأثيني وفى المقابل يشير كسينوفون للقبالة بوصفها مهنة الفقراء من ربات البيوت في المجتمع الاسبراطي اللاتي امتهن حرفا عديدة كعاملات بغزل الصوف، وعاملات حياكة وغسالات، وممرضات.[19] وبوجه نظر الباحث المتواضعة فإن ما ذكره كسينوفون عن وضع القابلات في اسبرطة أنما هو مردود طبيعي لما عرف عن هذا المجتمع العملي، الذي عرف عنه تشجيعه كافة مواطنيه على العمل ودون قيود، وربما يقدم ذلك تفسيرا لاتخاذ الفقراء من ربات البيوت في اسبرطة للقابلة كمهنة يتكسبون منها إسهاما منهم في زيادة دخل أسرهم.([20])

---

[19] Xenophon، Oeconomicus، XI. 1-23.

. (11.1) "ἐντεῦθεν δ' ἐγὼεἶπον: ὦ Ἰσχόμαχε, τὰμὲνδὴ περὶτῶντῆςγυναικὸς ἔργωνίκανῶς μοιδοκῶἀκηκοέναι τὴν πρώτην, καὶ ἄξιάγε πάνυ ἐπαίνουἀμφοτέρωνὑμῶν. τὰ δ' αὖ σὰἔργα, ἔφηνἐγώ, ἤδημοιλέγε, ἵνα σύτεέφ' οἷςεὐδοκιμεῖςδιηγησάμενοςἡσθῆςκἀγὼτὰτοῦ καλοῦκἀγαθοῦ ἀνδρὸςἔργα τελέωςδιακούσας καὶ καταμαθών, ἂνδύνωμαι, πολλήνσοιχάρινεἰδῶ. ''

وعن تطور مفهوم العمل في المجتمع اليوناني في العصر الكلاسيكي بوجه عام. راجع:

H. A. Applebaum، The Concept of Work: Ancient، Medieval، and Modern، State university of New York Press، 1992، 23-68.

وعن تطور تاريخ مهنة القبالة بوجه عام منذ العصور القديمة وحتى الحضارة اليونانية، وعن كيف أصبحن القابلات لهن احترامهن في المجتمع اليوناني نتيجة دورهن. راجع:

J. Fields، Choosing a Career as a Nurse – Midwife، New York، 2001

وفى حالة الحضارة اليونانية لم يكن عمل المرأة خارج المنزل يشكل جزءا من دورها الطبيعي وقد أكدت المصادر الأدبية على ذلك، إذ كان عمل المرأة يأتي في الغالب استجابة منها للظروف الاقتصادية الصعبة وهربا من الفقر وليس رغبة منها في تكوين ثروة Xen.،Mem.ii، 7.6. وقد أشار ديموستنيس إلى فترات اضطرت فيها امرأة للخروج للعمل خارج المنزل بسبب ما كنت تواجهه المدنية من كل المدينة من مصاعب Dem.، 57.45. وقد ألفت الحروب البليبونيزية بظلالها على المرأة اليونانية إذ زادت أعداد النساء الباحثات عن فرص للعمل بفضل الأزمة الاقتصادية التي خلقتها تلك الحروب وقد ضمنت تلك الأعداد نساء الطبقة النبيلة وهو ما تجسده لنا شخصية والدة يوكسيتثيوس Euxitheos التي اضطرت للعمل كقابلة. وعن والدة Euxitheos انظر : Dem.57.45. راجع:

S. Blundell، Women in ancient Greece، London، 1995، p. 145. ، 16.

[20] خضعت المرأة اليونانية بوجه عام للكثير من القوانين الصارمة التي فرضت عليها من قبل الرجال وذلك منذ قيام نظام دولة المدينة، إلا أن تلك القوانين قد أصبحت أقل شدة بعد قيام الحروب البليبونيزية 404ق.م، ففي الوقت الذي كان يفرض فيه على الفتاة الأثينية منذ سن السابعة أن تظل في منزل والديها، حيث تتلقى المبادئ الأساسية من تعاليم الحياة على يد والدتها، إضافة إلى ما تتعلمه من حياكة وغسل الثياب والطبخ وفن إدارة المنزل بما به من خدم، فقد كان الأمر مختلفا بالنسبة للفتاة الاسبرطية التي استمرت في تعليمها جنبا إلى جنب مع الفتيان بل وكان عليها منافستهم في مسابقات العدو وتتلقى نفس ما يتلقاه الفتية من تدريبات بل وفى بعض الأحيان كانت الفتيات يحرزن النصر على الفتية خاصة في لعبتي رمى القرص والرمح، ووفقاً لقوانين ليكورجوس فلم يكن مطلوبا من الاسبرطية أن تكون متمرسة على أعمال المنزل إذا تركت للخادمات من النساء حيث انه بموجب القانون كانت تنحصر مهمتهم في منح المجتمع الاسبرطي أطفالا أصحاء ولذا منحو الفرصة الكاملة للتفرغ لأداء التدريبات البديلة. راجع

القبالة في الحضارة اليونانية الكلاسيكية

وبعيدا عن الممارسة العملية للمهنة فيبدوا أن قابلات العصر الكلاسيكي قد لعبن أدوارا أخرى متصلة بالمهنة ساهمت في رفع مكانتهم في مجتمعاتهم، فوفقا لأولجا ارافانتيدوا ([21]) لم يقتصر دور القابلات على تقديم النصح الطبي لمرضاهن على المستويين النظري والعملي وهو ما جعل الحاجة إلى اللجوء للأطباء نادرة وذلك بفضل تقديمهن لخدماتهن في المنازل، بل كن يكتبن الوصفات العلاجية ويساعدن الحوامل ببعض العلاج النفسي أيضا.

يبدو أن القابلات اليونانيات قد امتد مجال خدماتهن للأطباء أنفسهم إذ نقلن خبراتهن العملية لأطباء التوليد فلم يقتصر دورهن على مجرد تيسير العمل للأطباء، بل امتد هذا الدور ليشمل تعليم الأطباء في أحيان كثيرة، وربما كانت ارفانتيدو تقصد بالعلاج النفسي ما ذكره أفلاطون من أن القابلات كن يقمن بعملهن ويستخدمن في ذلك العقاقير والسوائل المسحورة والغناء.([22]) نخلص مما سبق أن القابلات اليونانيات عموما قد استخدمن نوعين من الوسائل التي كان من شأنها تسهيل مهمتهن في استقبال المولود الجديد، يمكن تصنيفها لنوعين النوع الأول وهو ما يضم وسائل نوعية – إذا جازت التسمية – وقد اشتملت على المهارات المتراكمة جراء الخبرة والممارسة، أما النوع الثاني فهو ما يضم وسائل نفسية. ونظرا لأن مهنة القبالة كانت مرتبطة بشكل أساسي بالمرأة في بلاد اليونان فربما يصبح مناسبا أن يشير البحث هنا إلى أن النجاح حققته المرأة اليونانية في مجال القبالة إنما يعود بالأساس لخبرتها المتعددة الأمر الذي جعلها مؤهلة للعمل في المهنة محل البحث. خاصة خبرتها السالف الإشارة إليها في

---

p. 14-15; ، vol. XVII، BACPSI(2000)، ' the Position of Women during ancient Greece'،C.Dimitraskos

1.4. " ، constitution of the lacedaemonians،Xenophon

15; Xenophon, constitution of the lacedaemonians, 1.4. "ὁ δὲΛυκοῦργοςἐσθῆτας μὲν καὶ δούλας παρέχεινἱκανὰς ἡγήσατο εἶναι, ταῖς δ' ἐλευθέραις μέγιστοννομίσας εἶναι τὴντεκνοποιίαν πρῶτονμὲνσωμασκεῖν ἔταξεν οὐδὲνἧττοντὸθῆλυτοῦἄρρενοςφύλου: ἔπειτα δὲδρόμου καὶ ἰσχύος, ὥσπερ καὶ τοῖςἀνδράσιν, οὕτω καὶ ταῖςθηλείαις ἀγῶνας πρὸςἀλλήλας ἐποίησε, νομίζωνἐξἀμφοτέρωνἰσχυρῶν καὶ τἀἔκγονα ἐρρωμενέστερα γίγνεσθαι." (tr. E.C. Merchant, Harvard,1925); Plato, laws 7. 806a "τὸ Λακωνικόν; κόρας μὲνγυμνασίων μετόχουςοὔσας ἅμα καὶ μουσικῆςζῆνδεῖν, γυναῖκας δὲἀργοὺςμὲν ταλασίας, ἀσκητικὸνδέτινα βίον καὶ οὐδαμῶς φαῦλονοὐδ' εὐτελῆδιαπλέκειν, θεραπείας δὲ καὶ ταμιείας αὖ καὶ παιδοτροφίας εἴςτιμέσονἀφικνεῖσθαι .." (tr.by 1914).، Harvard، 14. 2.(tr.by B. Perrin، Lycurgus، 1952); Plutarchus، Harvard،R. G. Bury

هناك رأى يشكك في قيام الإسبرطيات الخلص في ممارسة مهنة القبالة، مرجحا قيام فئة " الجيران" و "الهلوتيس" بهذه المهنة في المجتمع الإسبرطى، على أساس تمتع الإسبرطيات بالعديد من بالعديد من المميزات التي يفترض أنها أمنت لهم مستويات اقتصادية معقولة ومن تلك الامتيازات السماح لهم دون الرجال بحق تملك الأرض وتمتعهم كزوجات بما كان يمنح لأزواجهن من قطاعات . رأى أفاد به – إبراهيم الجندي أستاذ التاريخ اليوناني والروماني بآداب عين شمس – الباحث وهو بصدد إعداد البحث في صورته النهائية للنشر.

[21] O. Arvantitdou، 'Midwives and Maternity services in Greece- Historical Contexl and Cueeent Challenges' in H. Spiby and J. Munro (eds.). Evidence based Midwifery Applications in Context، Oxford، 2020. 57-68.

[22] Plato،Theaetetus، 149c.

وعن تاريخ العلاقة بين الموسيقى وأعمال السحر والشفاء في الحضارات القديمة وخاصة اليونانية راجع: T. Gioia، Healing songs pp.1-27.،2006، Duke university press، وعن ممارسة الأمهات والقابلات اليونانيات في العصر الكلاسيكي للغناء أثناء ممارسة عملهن راجع Plato،the Laws ، 690de : وعن اعتقاد اليونانيون في قدرة الموسيقى والنغم وتنوع استعمالاتها في أثناء القيام بالأنشطة اليومية المختلفة. راجع:

M.L. West، Ancient Greek music، clarendon paperback، 1994، 1-31.

مجال تجهيز العقاقير، وهو ما تثبته الأساطير اليونانية التي صورت المرأة ومهاراتها في تجهيز شتى أنواع العلاج مثل هيلينوكيركى،([23]) كذلك فإن المسرح بشقيه التراجيدي والكوميدي قد لعب دورا مهما في تصوير المرأة بشكل واقعي، وهو ما أدى إلى أن ظهرت وهى تستعمل مهاراتها في المعرفة العلاجية في أغراض غير علاجية لتحقيق مآربها الشخصية، مثل تحضير مشروبات مسحورة وتحضير السموم، وكانت في الغالب تستخدم لأغراض سيئة، بخلاف الرجال الذين دائما ما صوروا كمعالجين بصورة ايجابية بالمقارنة.([24])

(ج) الظروف الاجتماعية وأثرها على مهنة القبالة

إذا كان القول – بأن المهن المختلفة تتأثر بظروف المجتمع التي تمارس فيه صعودا وهبوطا – قولا مقبولا، وذلك من منطلق أن المهن إنما تأتى ترجمة لمتطلبات المجتمع الذي تنتشر فيه، أن ذلك القول ينطبق على المجتمع اليوناني في العصر الكلاسيكي إذ أجبرته ظروفه على منح القابلات أدوارا أبعد من أدوارهن الأساسية السالف الحديث عنها، فقد اضطر ذلك المجتمع نتيجة ضعف موارده الاقتصادية تارة ونتيجة فكره الاجتماعي والسياسي تارة أخرى إلى أن تحرص العائلات فيه على تحديد النسل، وهو ما ترتب عليه أن عرف المجتمع ظاهرة إجهاض النساء بمعونة القابلات.([25]) وفى سياق الحديث عن دور القابلات في عمليات الإجهاض، تجدر الإشارة إلى أنه كان المجتمع اليوناني سواء في أثينا أو اسبرطة قد عرف إجهاض النساء بالاستعانة بالقابلات فقد عرف أيضا التخلص infanticide من الأطفال ذكورا كانوا أم إناثا بعد ولادتهم منذ عصوره الأولى بشكل عام ، وهنا يجب ملاحظة أن عملية التخلص من الأطفال كانت تتم بمعرفة الأب في أغلب الأحيان دون اللجوء للقابلات([26]) بل وكانت بعض عمليات التخلص من الأطفال تأخذ أحيانا شكل الأضحية. والواقع أن الأشعار الهوميريه قد صورت بعض من مشاهد التخلص من الأطفال ولكنها كانت كلها مشاهد اقتصرت على تصوير التخلص من الذكور كما حدث في حالة مقتل "باتيروكلوس" الصديق الحبيب لاخيليوس.([27]) وعلى جانب آخر قدمت لنا التراجيديات الإغريقية اللاحقة على أشعار

---

[23] For "Helen (frr.419-493 Nauck) "، see Od.4.219 sqq.; for "Medea"، see Sophocles، Rhizotomoi قاطعي الجذور

حيث تظهر ميديا وهى تقوم بعملية جمع لأعشاب سامعة وفيما يخص Circe انظر Od. 10.213

[24] من النساء اللاتي ظهرن في الأعمال المسرحية يقمن بإعداد السوائل المسحورة Hippolytus،Euripide 479 and 509، ، انظر أيضا. Aristophanes ،Thesm.561 ، وعن المعالجين من الرجال، راجع، Aristophanes ،Thesm. 483-486 عن ارتباط الحضارة اليونانية بالسحر وعلاقته بالفكر الديني والاجتماعي اليوناني على مر العصور بداية من هوميروس وكيف شكلت تلك العلاقة كافة أنشطة الحياة اليومية اليونانية راجع:

C. A. Faracite & D. Obbink (edits)، MagikaHiera: a ncient Greek magic and religion، Oxford university press، 1997. pp. 1-25

[25] N. B. Hunt ،Living in Ancient ،New York ،2009 ،46.

[26] J. R. Laurin، Women of ancient Athens، op. cit، 2005، pp. 121-122.

يستند ذلك الطرح إلى ما تمتع به الآباء من سلطات واسعة على أبنائهم في بلاد اليونان في العصر الارخى والكلاسيكي حيث كان يحق للآباء أن يقرروا ما إذا كانوا سيقومون بتربية المولود أم التخلص منه ويسوق كل من أوديب وأيون مثلين على ذلك ، هذا ويؤكد الكاتب على أن اغتيال الأبناء كان يمارس بأيدي أبائهم وبموافقتهم إذا لوحظ عليهم أية عيوب جسمانية خاصة الإناث حيث كان الآباء يفكرون دائما في الدور المنوط بهم كأمهات وربات بيوت. وحينما قتلت ميديا طفليها بحد السيف كانت غير يونانية وقتلتهم دون رغبة والدهم ياسون وكونها غير يونانية فهو أمر يعنى للعقلية اليونانية أنها ليست متحضرة.

[27] Homer، Hiad 23. 161-182.

هوميروس عدد من مشاهدة التخلص من الإناث كما حدث في حالة ابنة الملك أجاممنون " إيفيجينيا Iphigeneia" في بداية الحرب الطروادية ، ومع ابنة الملك بريام" بوليكسينا Polyxena "[28] التي تمت التضحية بها على قبر اخيليوس في نهاية الحرب. وكانت كلتامها عذراوات وقد صورت تلك الاغتيالات في سياق ديني على أساس أن الهدف منها كان إرضاء الآلهة في المقام الأول.[29] وتكثر الأمثلة على ذلك في الأدب اليوناني القديم ومنها "استياناكس Astyanax " الابن الصغير لكل من هيكتور واندروماخي[30] الذي قتله الإغريق بعد نهاية الحرب الطروادية، وقد وصفت المصادر المكتوبة أنه قتل بإلقائه من أعلى سور مدينة طروادة،[31] بينما يصور إناء أرخى وهو يذبح بسيف جندي إغريقي فوق مذبح بوصفه قرباناً الآلهة. وفى الخاتمة يخلص البحث من كل ماسبق إلى أن الحضارة اليونانية الكلاسيكية قد اعتمدت في ممارسة القبالة على النساء بشكل واضح كما ربطت تلك الحضارة بين طبيعة عمل القابلة وبين دور الآلهات الحاميات والموجهات لتلك القابلات مما ترتب عليه تمتع القابلات بوضع مميز على الأقل على الصعيد الإجتماعى. كما تبين من خلال البحث أنه لم يكن مسموحا لكافة النساء في الحضارة اليونانية الكلاسيكية وخاصة في حالة مدينة "أثينا" ممارسة تلك المهنة، إذ جعلت تلك الممارسة حكرا على النساء اللاتي سبق لهن الحمل والإنجاب وانقطعن عنه بينما حرمت العاقرات وغير المتزوجات من ممارسة القبالة لحكمة الاستفادة بخبرة المجربين الأقدر على تفهم آلام الحوامل ومتطلباتهم. وبالمثل فقد عرفت الحضارة اليونانية الكلاسيكية مسألة تدريب القابلات والتي بدأت على يد هيبوكراتيس وانتهت بعد وفاته حتى عصر هيروفيلوس وظلت تعتمد على الخبرة المتوارثة والمتراكمة جراء الممارسة العملية بعيدا عن طائلة القانون. كما ظهر من خلال البحث أن القابلات اليونانيات كانت لديهم وسائلهم الخاصة التي كانوا يستعملونها في تلك المهنة سواء كانت وسائل عضوية أم نفسية وهو ما يدل على التطور الكبير الذي عرفته تلك المهنة في تلك الآونة، كما تبين أنه قد تمت الاستعانة بالقابلات في إجراء عمليات الإجهاض في حالة الضرورة ويمكن اعتبار الملامح السابقة التي خلص إليها البحث بمثابة مقدمات تاريخية ساهمت بشكل ما فيما شهده مجال الطب عموما وأمراض النساء على وجه الخصوص من تطور في الفترة اللاحقة ونعنى بها الفترة الهلينستى.

أحمد غانم حافظ

حيث نعرف مما ورد لدى هوميروس أن أخيلليس ضحى بماشية وخراف وجياد وكلاب وأثنى عشر من أطفال الطرواديين لأجل محبوبه باتيروكلوس

[28] Hesiod، Works and Days، 522-23.

حيث نعرف من خلاله أن اركتينوس من مليتوس صاحب العمل المسمى (lliouPersis) الذي يعود تاريخه إلى بواكير القرن الثامن قبل الميلاد في حوالي 770/760 وقد وصف لنا حادثتي قتل أوديسيوس لاستياناكس والتضحية ببوليكسينا على قبر اخلليس.

[29] كتب يوريبيديس عن التضحية بالعذراوات الصغار في خمسة مسرحيات وهم كالتالي: عن أيفيجينيا في مسرحية ايفيجينيا في أوليس وايفيجينيا في تاوريس، وعن بوليكسيا في مسرحيته هيكابى والطرواديات، وعن ابنه لهيراكليس غير مسماه في مسرحيته أبناء هيراكليس

[30] Homer، Odyssey 8. 523-530. (Astyanax)

[31] M.P. Sarah، The sacrifice of Astyanax:Near Eastern Contributions to the Siege of Troy'، in J. Carter and S. P. Morris (eds.)، The Ages of Homer، Austin: University of Texas press، 1995، 221-41.

حيث رجحت سارة موريس أن تصوير الفن الأرخى المتأخر لحادثة قتل استياناكس جاء على اعتبار الفنان أنها أصبحت طقسا للتضحية وهو – وحسب وجهة نظرها – ما يعكس تأثرا ما بعادات الفينيقيين والقرطاجيين في التضحية بالأطفال.